



الفلاحون الصغار والأجراء الزراعيون الجزائريون بين 1936-1950 قراءة في التنظيم والوعي المطلبي

د. جيلالي تكران

جامعة الشلف - الجزائر

E: djilalitik@gmail.com

ملخص

انتفض الفلاحون الصغار والأجراء الزراعيون على نظام السخرة والعمالة اللذين فرضهما المستوطنون الأوروبيون؛ بعيداً عن القوانين الاجتماعية الفرنسية مستغلين تواطؤ الإدارة الاستعمارية وسكوتها عن التجاوزات التي مسّت ساعات العمل والأجور والظروف المعيشية والمهنية التي يئن تحتها الغالبية العظمى من الجزائريين الذين نزحوا إلى مزارع المعمرين، هروبا من شظف العيش في الأرياف وتحملوا مسؤولية إعالة عوائلهم، فاشتد بهم الفقر والغبن؛ فانتفضوا ضد الاستعباد الكولونيالي في المزارع خلال عقد الثلاثينيات من القرن العشرين، أثناء بروز نجم اليسار الفرنسي على الساحة السياسية والنقابية، والذي صدح بخطاب العدالة الاجتماعية عبر الحملات الانتخابية والنقابات الشيوعية، مما شكّل فرصة للعمال الزراعيين بالتنظيم والتحرك ضد الاستغلال الاستيطاني، والتي شملت مزارع الغرب والوسط والشرق، والتحق بهم عمال المناجم والقطاعات المهنية الأخرى حتى بعد الحرب العالمية الثانية 1945-1953م. وهي فترة تبلور الوعي النضالي المطلبي وسط الجماهير الشغيلة الجزائرية، استقطبتها النقابات الفرنسية واستفاد منها الجزائريون لتطوير الوعي النضالي إلى كفاح سياسي.

Abstract

**The small farmers and the Algerian labourers between 1936-1950
Reading in organization and demand awareness.**

Algerian peasants and agricultural workers rose up against the system of labor imposed by European settlers away from French social laws, exploiting the complicity of the colonial administration and the silence of the hours of work, wages and living conditions. In the countryside colonial administration took responsibility for intensified poverty and injustice and colonial slavery on farms during the decade of the 1930s, the political scene recognized the speech of social justice through the election

campaigns and the communist unions, which provided an opportunity for agricultural workers to organize and move against the settlement exploitation, including the farms of the West, Central and East, joined by miners and other professional sectors even after the Second World War 1945-1953, a period crystallizing the consciousness of the struggle of the unemployed among Algerian working masses attracted by the French unions and benefited Algerians to develop the struggle awareness to a political struggle later on .

توطئة:

اعتمد النظام الاستيطاني الفرنسي بالجزائر؛ طيلة فترة الاحتلال الفرنسي 1830-1962 على سياسة تفكيك البنية الاجتماعية والاقتصادية للجزائريين؛ بوسائل مختلفة حسب الظروف والامكانيات المادية والبشرية والمالية ، معتمدا في البداية اسلوب القوة العسكرية التي خاض بها عملية التوسع في المناطق الساحلية والداخلية بعد دحر المقاومات الشعبية واستحكام قبضته على موارد البلاد، وبدأ في سلسلة من الإجراءات لمصادرة الملكيات الثابتة والمنقولة، حيث سن من خلالها قوانين جائرة لنقل الملكية إلى المستوطنين الجدد من أوروبا، وتسليط عقوبات السلب على الشعب الجزائري بطريقة العقاب الجماعي، الأمر الذي خلف تدهورا في التركيبة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الجزائري ، أثرت في انسجامه وتطوره ، وباتت شروط العيش الكريم تتراجع بشكل مهول ، إذ وجدت أغلب الأسر نفسها معدومة من وسائل معيشتها الاساسية وهي الأرض والماشية، ولم تجد من سبيل سواء كراء سواعدها للخدمة لدى المستوطنين في ظروف مهينة ومهينة لا تطاق؛ دفعت بهم إلى بلوغ مستوى من ردود الفعل لتحسينها بطرق شابتها العاطفة والاندفاع، ثم الوعي والتنظيم ضمن أطر نضال مهيكلة ساعدته ظروف محلية، (تنامي حضور اليسار الفرنسي في الجزائر وفرنسا) ودولية (مخلفات الحرب العالمية الأولى على أوروبا والعالم).

1-ظروف تطور الوعي المطلي وسط الطبقة الكادحة الزراعية:

إن تركيبة الوسط الفلاحي الريفي الجزائري من طبقات عديدة، جعلت مشاكلهم مختلفة وأثرت على تفاعلهم في القضايا الوظيفية والمعيشية المطروحة، فهم منقسمون حسب ملكية الأرض الزراعية أو الأجر اليومي، فمنهم الفلاحون البسطاء الذين يستخدمون كيد عاملة دائمة أو موسمية يتقاضون أجورهم عينا أو نقدا، أو فلاحون متوسطون يملكون أراض أقل مساحة، حيث يستدعون كيد عاملة مساعدة، أو فلاحون صغار مستغلون مؤقتون مؤجرون، وصنف آخر هم الفلاحون الفقراء (الخماسون) الذين يأخذون 5/1 المحصول من المالك الحقيقي للأرض، ونوع أخير هم الفلاحون الذين لا يمكنهم العيش على منتج واحد من أرضهم الصغيرة؛ ليتحولوا دوريا إلى أجراء زراعيين أو عمال صناعيين، عندما تفتح مناجم الفحم أبوابها لتوظيفهم¹.

لذا يتبادر إلى ذهن الباحث طرح التساؤل الآتي: لماذا ظل الأجراء الزراعيون في الجزائر خارج اهتمام النقابات؟ .

لقد أقحمت الطبقة الفلاحية الجزائرية في الحرب العالمية الأولى بالساحات الأوربية، وبعد نهاية الحرب نقلت إلى القرى ما تعلّمته حول الديمقراطية والحركة العمالية الفرنسية، وخير دليل على أهمية الفلاحين هو تكوين نجم شمال افريقيا في باريس من الطبقة الكادحة المهاجرة من الأرياف التي طالبت من خلال مشاركة النجم في المؤتمر المعادي للاستعمار في بروكسل ببلجيكا سنة 1927 بمصادرة الملكيات الزراعية الكبيرة المحتكرة من قبل الاقطاعيين المستوطنين².

وقد تلقى هؤلاء الأجراء الزراعيون أجورا زهيدة، بعد انتظار طويل المدى؛ دون احتساب المنح العائلية التي لا تعني هؤلاء إطلاقا، ولم يكن نضالهم سهلا بالنظر إلى عمال الزراعة في المدن الذين انخرطوا وناضلوا؛ دون مشاكل في نقابة الكونفدرالية العامة للشغل، فإن نظرائهم في الأرياف كانوا على العكس منهم تماما، فالنضال أو المقاومة يقابله قمع منقطع النظير من طرف مالكي الأراضي (الاقطاعيين) بدعم من

الإدارة فالظروف لم تسمح بإنشاء نقابة وظل خيارهم العمل بأجر زهيد هو حلم ليس في متناول الكل ومجرد التمرد يكفي الرد عليه بالتسريح أو السجن باستدعاء قوات الحرس أو الدرك فما على التعساء سوى كراء سواعدهم لتلبية حوائج عائلاتهم³ ، فبنية أجور الأجراء الزراعيين لا تخضع لأي تشريع أو رقابة حكومية، بل هي تحت رحمة المستوطنين. ويكفي للتدليل على ذلك؛ رصد الفرق بين أجر العامل الزراعي الأوربي ونظيره الجزائري في الجدول الآتي⁴:

السنوات	عامل زراعي اوروبي	عامل زراعي جزائري
1913	08-06 / ف	2,5 / ف
1920	12-10 / ف	06-05 / ف
1930	18-16 / ف	14-13 / ف

من خلال قراءة الجدول، يتضح مدى الاستغلال البشع الذي تعرضت له هذه الطبقة المنسية بين حقول الكولون، إذ أن أجر الجزائري يساوي نصف أجر الأوربي أو أقل بكثير؛ دون الحديث عن المنح العائلية التي يستفيد منها العمال الزراعيون في فرنسا، ولا يستفيد نظراؤهم منها في الجزائر، ونفس الحالة عن تعويضات العطل المرضية أو حوادث العمل التي تبقى خارج حسابات القائمين على شؤون الجزائر. لقد جندت الكونفدرالية العامة للشغل الموحدة قواعدها لتحريك الطبقة الكادحة في حربها مع غريماتها الكونفدرالية العامة للشغل على الساحة المهنية بالجزائر بما فيها الأرياف حيث الجماهير الفلاحية التي بقيت خاما قابلا للاستغلال والانقياد ضمن حسابات سياسية خلال عقد العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين للميلاد .

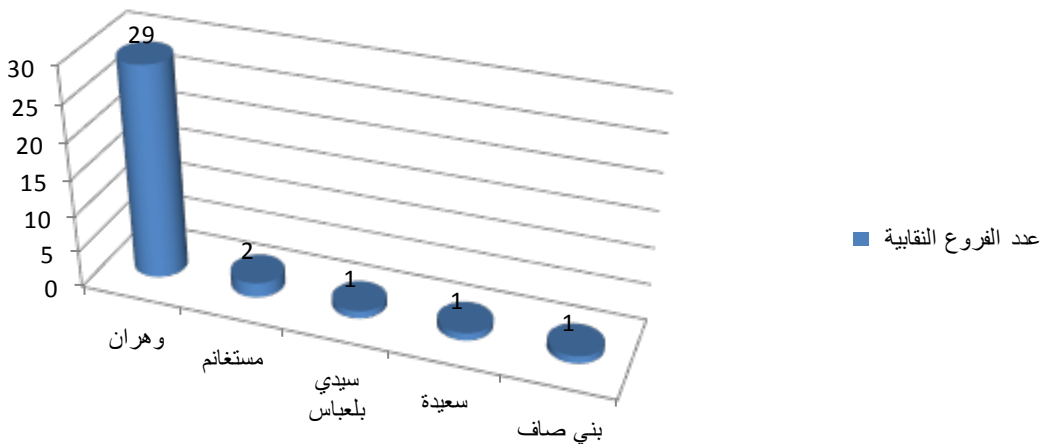
2-بواد ظهور وعي التكتل النضالي المطلي عند الاجراء الزراعيين:

بدأ ظهور الاجراء الزراعيين في النقابات بين 1935-1936 ،حيث كانت بروليتاريا المدن على اهتمام واسع بالعمال الزراعيين إذ قام مناضلي نقابة المعلمين التابعة الكونفدرالية العامة للشغل علال سعدون والطيب جدير بناحية وهران بمحاولة انشاء نقابة للعمال الزراعيين لأجل القيام بالإضراب أثناء فترة جني الغلال

فذهب المعمرون الى شرق المغرب بحثا عن اليد العاملة وألغى المستوطنون المزايا العينية التي كانت تعطى للعمال عقابا لهم على التحرك المطلبي الذي اعتبروه عصيانا وجب ملاحقة منفذيه⁵ ، الأمر الذي يوحى بوجود إرادة لدى عمال المزارع في الغرب الجزائري أسبق وأقوى من أقرانهم في الوسط والشرق في تشكيل الفروع النقابية قبل 1936 وبعدها⁶. وهذا ما يلاحظ في الشكلين التاليين:

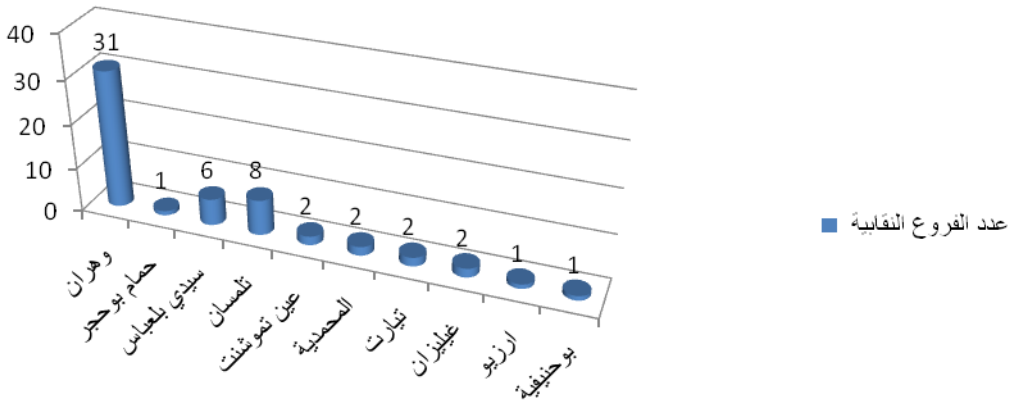
الشكل رقم: 01

عدد الفروع النقابية قبل سنة 1936 في الغرب الجزائري



الشكل رقم: 02.

عدد الفروع النقابية في الغرب الجزائري بعد جوان 1936



بنظرة سريعة يمكننا تأكيد تصدر وهران بقية المدن الغرب الجزائري في عدد النقابات سواء قبل أو بعد 1936. وهذا لوجود نسبة كبيرة من المستوطنين بالعمالة وهيمنة الشيوعيين على النضال والهيكلية النقابية بالموانئ والأشغال العمومية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى تزايد النقابات في المدن الجديدة التي لم تكن تتوفر سابقا على أية نقابة، مما يوحي بدرجة تطور وعي الطبقة الشغيلة بأهمية النضال المطليبي والاجتماعي ضمن تطور الوعي بالمسؤولية، كما يعود تكاثر نقابة الاجراء الزراعيين بالغرب الجزائري إلى مساعدة عمال قطاع الخدمات هؤلاء في إنشاء نقابات تدافع عن مصالحهم⁷.

ولهذا تعتبر سنتي 1936-1937؛ بمثابة العصر الذهبي لانتفاضة الاجراء الزراعيين في الأرياف وفي كامل أنحاء البلاد، من خلال الإضرابات والمظاهرات التي شهدتها المدن الجزائرية من الغرب إلى الشرق خلال موسم الحصاد والجني حول الأجور وتحديد ساعات العمل (سيدي بلعباس ، تلمسان ، عين تموشنت ، مستغانم ،

متيجة، باتنة، وجيجل) تحولت التظاهرات الفلاحية المطالبة إلى تمردات هجومية لمحاصرة المزارعين في مزارعهم وتخريب محاصيلهم الزراعية، ولم ينج هؤلاء الإقطاعيين الأوروبيين إلا بتعبئة القوات القمعية الاستعمارية التي خلفت سقوط أرواح عدة، وبات الأمر أكثر خطورة في ظل تصاعد الغضب الذي هز أركان الاستعمار بحركة مطلبية لم تكن معهودة لديه⁸. واعتبرت آنذاك تهديدا لسيادة فرنسا والأمن العام مما دفع بالحاكم العام (Lebeau Georges) إلى إرسال برقية عاجلة إلى حكام العمالات الثلاث طالبا منهم موافاته على عجل بمعلومات خاصة بحركة الإضراب تخص العدد التقريبي للعمال في العمالة وعدد المضربين وتوزيعهم حسب المهن والمناطق والحالة المعنوية وتطورها⁹.

كما استدعت الحكومة العامة قوات إضافية لإخماد الاحتجاجات المتزايدة من قرية إلى قرية ومن حقل إلى حقل. ومن ذلك الحين تعرف العمال الزراعيون على مدى فعالية النضال المشترك والتضامن الفئوي في دفع الحركة المطالبة إلى الأمام، إذ تأسست في جوان 1936 نقابة زراعية في موزاية تضم 600 عامل زراعي وفي 17-06 1936 تأسس تجمع هيكلي فلاحى في الشلف بحضور أمين عام الحزب الشيوعى الجزائري عمر أوزقان والسناتور الشيوعى "كلاما موسى"¹⁰.

وانشرت عملية تكوين نقابات للعمال الزراعيين في أرجاء الجزائر، ففي 29-06 1937 تأسس الفرع النقابي للحروش بسكيكدة، يضم بلدية عين بوزيان وأبجاز أتشيش، وصالح بوعاشور، والحروش، ويتكون مكتب الفرع من الأسماء الآتية¹¹:

الاسم واللقب	الصفة
ميلود بوشريكة	أمين عام
طاهر عبد اللي	نائب الأمين العام
حسن كربوعة	أمين الخزينة
العربي حسن	نائب أمين الخزينة
محمد بشني	عضو

عضو	ساسي حركات
-----	------------

كما تأسس الاتحاد المستقل للعمال الزراعيين، تحت غطاء الكونفدرالية العامة للشغل سنة 1936 وضم 40,000 عاملا زراعي¹²، وامتدت الى الفلاحين الصغار في الونشريس والأوراس، لكن بقي القطاع الوهراني هو الإقليم الأنشط على مستوى تكوين النقابات والنضال. ويظهر الجدول الآتي مدى تطور عدد المنخرطين في الاتحاد المقاطعاتي التابع للكونفدرالية العامة للشغل بوهران بين 1935-1948¹³:

السنوات	عدد المنخرطين
1935	00
1936	800
1938	3000
1939	00
1943	00
1944	500
1945	23,000
1948	10,000

ارتبط عدد المنخرطين بوجود وعي نقابي وسط العمال الزراعيين بفضل عملية التحسيس والتوعية التي بادر بها نقاييون جزائريون- على غرار بوعلام بورويبة- الذين أخذوا على عاتقهم التغلغل الى القرى والمداشر متجنبيين مسألة الطوابع ببطاقة سنوية بطابع رمزي يدفع كل 03 أشهر¹⁴، أو على شاكلة النقابي النشط لخضر قايدي، الذي تولى عملية التوعية النقابية في الوسط الفلاحي معتمدا شعار " لا نقابة ، لا حركة نقابية حقيقية دون نقابة العمال الزراعيين قوية " انطلاقا من مزارع عنابة وسكيكدة التي شهدت اضطرابات 1936-1937¹⁵ التي قمعت ببشاعة وقبض على

مثلهم بعلاق رابح، الذي توفي بالسجن قبل انتهاء محكوميته ودامت تلك الحركة 14 يوما، شهدت تطورات متباعدة حول مدى الالتزام بأمر الإضراب من عدمه بين العمال الأوربيين والجزائريين، حيث تراجع البعض منهم انطلاقا من اليوم السادس للإضراب، لكن بقي عدد الجزائريين المضربين يفوق عدد الأوربيين المضربين، إذ وصل عددهم في اليوم 09 و 10 و 11 من شهر جويلية 1936 حوالي 60 مضربا أوربيا وأقل من 2000 مضربا جزائريا بعدما كان عدد الجزائريين المضربين في اليوم الأول 7202 عاملا لينزل العدد في اليوم الأخير من الإضراب الى 1684 عاملا في حين وصل أكبر عدد من المضربين الأوربيين في اليوم الأول الى 508 عاملا ليتقهقر العدد في اليوم الأخير للإضراب الى 35 عاملا فقط¹⁶ وهذا يدل على مدى تطور الوعي النضالي وسط العمال الزراعيين الجزائريين الامر الذي فسره نظرائهم من الاوربيين على انه يقظة وطنية لا تتعلق بالمطالب الاجتماعية وغالبا ما تلبى مطالب هؤلاء في صمت بعيدا عن اعين الجزائريين .

لقد أثمرت تلك الجهود التي رافعت من أجل الزيادة في الرواتب وتحديد ساعات العمل اليومي بثماني ساعات والاعتراف بالحق النقابي بتشكيل فروع نقابية في وادي الخير بغليزان وعين رقادة، وفي الشقفة والطاهير والقاللة وحامة بوزيان بقسنطينة أنشئت نقابات عمال الغابات وفي الجنوب بطولقة وسيدي عقبة وفي وادي سوف تم إقرار نقابات زراعة التبغ بالجنوب¹⁷.

3- الجبهة الشعبية وحركة الاجراء الزراعيين:

بوصول الجبهة الشعبية الى الحكم 1936 فتحت المجال للعمال في كل القطاعات بالتعبير عن انشغالاتهم ولو الى حين فضلا عن انعقاد المؤتمر الاسلامي وميلاد الحزب الشيوعي الجزائري وحدة التنافس النقابي بين الكونفدرالية العامة للشغل والكونفدرالية العامة للشغل الموحدة¹⁸، حيث بلغ الوعي العمالي مداه لتحصيل مطالبهم المهنية في انفتاح سياسي رسمي محدود في الجزائر لفترة وجيزة

ورغم المحاولات التنظيمية إلا أن نقابات العمال الزراعيين لم ترق الى مستوى ترسيخ نقابة حقيقية لأسباب عديدة، نذكر منها:

- عدم ثبات اليد العاملة في الريف لتشتتهم في المزارع وبقائهم تحت رحمة التقاليد وتأثير الحركة الاصلاحية في الريف والمدينة في عدم انتماء العمال الزراعيين الى الحركة النقابية¹⁹. وفي نظرنا أن هذا العامل لا يبدو موضوعيا كون أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لا يمكن لها أن تكون سداً منيعاً وعبئاً إضافياً أمام حركة العمال الزراعيين للمطالبة بحقوقهم المهنية والاجتماعية، بل سعت إلى دعمهم بكل السبل الشرعية لإحقاق حقوقهم في إطار المطالبة بالحقوق الكاملة للشعب الجزائري، وليس لفئة بعينها.

- عدم تطابق مطالب الكونفدرالية العامة للشغل مع وضع العمال الزراعيين؛ بدليل أن أغلب منتسبيها هم عمال القطاع الثاني والثالث²⁰.

- طبيعة النظام الاقتصادي الاستعماري الذي أضفى الطابع النقدي على نمط الإنتاجي وحول الاستهلاك الذاتي الى اقتصاد الكفاف التقليدي وجعله تابعا للاقتصاد الرأسمالي المتطور، ثم فرض عليه معايير في التبادل وجعله سوقا لمنتجاته واحتياطا لقوة العمل المتخلفة كالعمال الزراعيين²¹.

- عدم سماح النظام الاستعماري في الجزائر بتكوين طبقة عمالية حقيقية على المستوى الكمي والنوعي الامر الذي جعل فئة العمال الزراعيين أقل تطورا واحساسا بانتمائهم الطبقي من نظرائهم في المدن مع مزاولة البعض منهم للعمالة في المناجم خارج موسم الحرث أو الجني أو الحصاد لتحسين وضعهم المعيشي، ومن يملك إلا راتبا وحيدا للعيش لا يمكنه المجازفة بالانخراط في تنظيم نقابي مهدد بالملاحقة أو الطرد من العمل²².

- عدم اهتمام الاحزاب الوطنية والحركة العمالية الحضرية بطبقة الفلاحين وتنظيمها اعتقادا منها ان مطالب الطبقة العمالية الجزائرية متضمنة في البرنامج الحزبي بالنسبة للأولى وأنانية الثانية في تحقيق مصالح فئوية.

ويبدو أن السبب الأخير، ليس حكما موقفا بدليل أن بعض الأحزاب على غرار فرحات عباس وحزب الشعب والحزب الشيوعي الجزائري ساهموا في توعية المجتمع والعمال بحقوقهم عبر مناسبات عدة، لكن بقيت دون المستوى المطلوب في غياب تنظيم نقابي جزائري يتكفل بالدفاع عن مطالب الفئة الشغيلة، وأن الخطاب والمفردات السياسية لم تعد تطعم الأفواه وأضحت اللعبة السياسية ترفا أمام تعاضم ضروريات الحياة التي شغلت معظم الجماهير الجزائرية وهو ما يؤكده الوضع السياسي للجزائر سنة 1933: "ما تزال الأوضاع السياسية للأهالي مشجعة جدا فالشعب المسلم غير مهتم بالعالم الخارجي"²³ وذلك لانشغال الأهالي بواقعهم التقليدي ومصالحهم المادية المباشرة "²⁴.

أما فيما يتعلق بعدم تضامن العمال الحضريين مع العمال الزراعيين في حركتهم الاضرابية فهو غير صحيح؛ بدليل شمول الإضراب لكل القطاعات بالشرق الجزائري، كما أن هناك جهودا لافتة قام بها كل من عمار أوزقان ولخضر قايدي من الحزب الشيوعي الجزائري؛ ضمن اليسار الفرنسي في مناطق مختلفة ومناسبات عديدة بالوطن.

-رفض السلطات وكبار الإقطاعيين هيكلة وتنظيم العمال الزراعيين في النقابات النشطة خوفا من تعطل المؤسسات النشطة بالقطاع الزراعي وتدمير آليات الاقتصاد الاستيطاني وإفلاس شركاتها القائمة على مداخليل الزراعة النقدية والثروات المنجمية. وتعتبر الفترة بين 1947 – 1953 العصر الذهبي لحركة الجماهير الجزائرية في شنها للإضرابات المطالبية والسياسية ميزتها الشمولية الاستمرارية والتضامن، إذ لا يمكن حصر تعداد الإضرابات التي قام بها العمال الجزائريون في قطاعات عديدة شملت حتى العمال الزراعيين وبناء على العشرة الأشهر من سنة 1947 يظهر أن الإضراب شمل عددا معتبرا من القطاعات المهنية: عمال الأرصفة، الزراعة، المناجم والسكك الحديدية.

وغالبا ما تحدث الإضرابات لدى المزارعين في بداية الصيف ولدى عمال الموانئ في الخريف لتصدير الإنتاج وهي مواقيت حساسة للاقتصاد الاستعماري في تسويق المنتجات النقدية - التجارية والمواد الأولية نحو فرنسا مستغلا اليد العاملة الجزائرية بأبخس الأثمان ، لذا بدت الحركة العمالية الجزائرية أكثر وعيا بأليات الاقتصاد الليبرالي وكيفية الضغط على أرباب العمل لتحصيل الحقوق وتكرر الإضرابات في الفترة المذكورة لإحداث خسائر فادحة للمتعاملين مثل إضراب 30-09-1948 الذي أتلّف حوالي 500 طن من بذور البطاطا في ميناء الجزائر معتمدين على قوة التنظيم والتعبئة والإصرار لضرب الاقتصاد الاستيطاني القائم على حركتي التصدير والاستيراد كنتيجة لنمط الاقتصاد الاستعماري في الجزائر²⁵.

ويعتبر عمال الأرصفة الدائمون الطبقة الأكثر حيوية في الدفاع عن مطالبها وحقوقها النقابية معلنين إضرابات متكررة وعديدة ومنظمة طالبوا خلالها بتحسين الأجور والحفاظ على مناصب العمل وإنشاء المكتب المركزي لليد العاملة²⁶ كما شهد شهري ماي وجوان من 1947 إضراب 1700 عامل بمنجم الكويف بتبسة دام 63 يوما بعد إقدام إدارة المنجم على تسريح 08 عمال من بينهم أربعة مسؤولين نقابيين، منهم عاملان أوريبيان شيوعيان، وهي سياسة الاستفزاز التي دأبت عليها الإدارة للضغط على النقابة و ثنيها عن المطالبة بحقوق العامل، وتوج الإضراب بإعادة دمج العمال الموقوفين والتوقيع على اتفاق جماعي يرسّخ لقانون المنجمي .

كما امتدت حركة الإضراب إلى مناجم أخرى، حيث شارك فيها حوالي 8000 عامل، شملت كل منجم القنادسة، وتوقف فيه العمال لمدة 26 يوما، وبني صاف 66 يوما، وتمزيت 79 يوما، والونزة 76 يوما، والمزايتة 99 يوما، تحصل المضربون على تطبيق القانون المنجمي، الذي كان روبرت لاكوست يسعى الى تعديله ويمنع حق الإضراب فيه وحققوا بعض المطالب الاجتماعية: المردودية، العلاوات، إنشاء الاتحاد الجهوي لصناديق الإسعاف، الصندوق المستقل للمنجميين المتقاعدين ودفع أجور أيام الإضراب²⁷.

وتشير طول مدة الإضراب إلى مدى عجرفة الإدارة وتعتتها في الاستجابة لمطالب العمال والدخول في حوار بناء يحفظ حقوق العمال والمؤسسة، لكن أرباب العمل ظلوا يستخفون بهذه الحركات العمالية ويماطلون في الحوار معه لأجل الضغط عليها نفسيا لتفكيكها بطرق شتى، منها استخدام القمع والسلاح من طرف الدرك "بأمر من وزير الداخلية الاشتراكي" جول موش"، مما أعطى لهذه الإضرابات طابعا سياسيا²⁸.

أما في القطاع الفلاحي، فقد أعلن العمال الزراعيون إضرابهم مع بداية موسم الجني والحصاد انطلاقا من مزارع متيجة، وهران وعين تموشنت في جوان-أوت 1948؛ بقيادة مصطفى سعدون (عضو في الحزب الشيوعي الجزائري) وبدعم من الكونفدرالية العامة للشغل للمطالبة برفع الأجور وإدراج العمال الزراعيين في الضمان الاجتماعي وإلغاء النظام الخاص والمنح العائلية وتوسيع تطبيق القوانين الاجتماعية على الجزائريين²⁹ إلا أن المستوطنين استعانوا بالإدارة لتوظيف السجناء وقمع المضربين وجلب العمال الموسمين بدلا من الحوار وتسوية المشاكل المهنية العالقة بل أن أصحاب المزارع لجأوا الى القمع بالتعاون مع الادارة مثلما أقدم عليه رئيس بلدية بوتليس "سانت بيار" المالك لـ: 4000 هكتار؛ مستعينا بالدرك الذين قبضوا على بعض العمال الزراعيين المضربين وقدموهم إلى المحاكمة، ونالوا رفع الأجور بـ: 20٪ وتحديد مدة العمل اليومي بعشر ساعات³⁰ وإنهاء التمييز بين عمال المدن العاملين في التجارة والصناعة والإدارة، حيث يتلقون المنح العائلية دون عمال الأرياف؛ فطالب هؤلاء بالمساواة في الحقوق المهنية³¹

ويظهر الجدول التالي الفرق الشاسع في الأجرة بين عمال الريف والمدينة؛ حسب المناطق الثلاث³²:

المناطق	أجور عمال الصناعة والتجارة	المناطق	أجور عمال الزراعة 12-14 ساعة / اليوم
المنطقة الاولى	77 ف/ سا	المنطقة الاولى	345 ف/ اليوم
المنطقة الثانية	74 ف/ سا	المنطقة الثانية	316 ف/ اليوم
المنطقة الثالثة	67 ف/ سا	المنطقة الثالثة	276 ف/ اليوم

من خلال تحليلنا للجدول، يمكن أن نميّز بين نظامين من الأجور، بين عمال القطاع الثاني والثالث من جهة، والقطاع الأول وبين المناطق الثلاث، وعليه تكون الأجرة الشهرية لعمال الصناعة والتجارة بمعدل ثنائي ساعات في اليوم:

1- 616 ف/ اليوم - الأجرة الشهرية هي : 18400 فرنك .

2- 592 ف/ اليوم - الأجرة الشهرية هي : 17760 فرنك .

3- 536 ف/ اليوم - الأجرة الشهرية هي : 16080 فرنك .

أما عمال القطاع الزراعي:

1- الأجرة الشهرية هي : 10350 فرنك .

2- الأجرة الشهرية هي : 9480 فرنك .

3- الأجرة الشهرية هي : 8280 فرنك .

والمفارقة هو أن القطاع الثاني والثالث أغلب عماله أوروبيون والقطاع الأول كلهم جزائريون، ويمتاز الأوروبيون بمنح عائلية ويحرم منها الجزائريون، وهو المطلب الذي شغل هؤلاء في إضرابهم أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات.

ويتم التضحية ببعضهم، من خلال الاتهام بالتخريب وتعطيل المصالح وتغريمهم أو تسريحهم من عملهم كأسلوب ردعي والإتيان بعمال مؤقتين ليستخلفوا العمال الدائمين، لأن هؤلاء يأتون من المناطق الداخلية الفقيرة وغير مدركين لقواعد النضال النقابي ولا علم لهم بالمزايا الاجتماعية خارج الراتب الشهري³³، يقض الجوع

مضاجعهم فلا يشكلون خطرا على الملاك الزراعيين³⁴. أما في الجنوب الخاضع للإدارة العسكرية، فإن القطاع الزراعي بقي مغيباً تماماً، لأن أي شكل للتجمع أو التنظيم يعتبر في نظر الإدارة عصياناً أو تمرداً.

وعليه ظل الاستغلال على أشده والتمييز على حاله فإذا كانت الحركة العمالية الجزائرية قد نجحت في تحقيق تحرك منظم في كل من قطاع المناجم، السكة الحديدية والموانئ فإن عملها سيبقى ناقصاً ما لم يحقق العمال الزراعيون اندماجهم في الحركة النقابية الجزائرية ولا يمكن لها أن تكون حقيقية دون العمال الزراعيين.

عندئذ قرر الشيوعيون توسيع جهودهم إلى الواحات ومزارع النخيل بالاعتماد على نقابات صغار الفلاحين الموجودة بشكل محدود في بعض الأماكن، والتي كانت تعمل في السرية وناضلت لتنظيم العمل والتحسيس به في كل من قسنطينة والعاصمة وتقديم المطالب في المظاهرة الكبرى التي جرت بمناسبة 01-05-1951 في قسنطينة من تنظيم اتحاد العمالة وأمر مسؤولي المنطقة بالتوجه سرا إلى بسكرة في 15-04-1951 والالتقاء بمسؤولي الاتحاد المحلي وعمال السكة الحديدية ثم نحو قمار حيث توجد نقابة الغراسين الصغار للتبغ أين حضر الاجتماع مندوبي الواحات والنخيل منهم حامة لخضر. وقام لخضر قايدي بجولة إلى المغير، جماعة، توقرت، سيدي عمران، سيدي خالد، الزاوية، تماسين ومهدية. ونظراً للحرارة الشديدة ولأسباب أمنية، قام فريق البعثة بالعمل مساء رفقة هاشمي قنوني وبريادة بلقاسم وقرروا الاجتماع في أول ماي في سيدي عمران، انطلاقاً من الواحات صباحاً باتجاه ساحة التجمع على الساعة التاسعة من صباح 01-05-1951، وجاء المتظاهرون من كل حذب للالتقاء في سيدي عمران، ودام الاجتماع ساعة واحدة وانفض الجمع بسرعة بعد أن تداول عدد من المسؤولين على المنصة لمخاطبة الجماهير المحتشدة تجنبا لتدخل قوات الاحتلال بعد أن توعدّهم الباشاغا سنوسي بالانتقام من الحركة في الجنوب القسنطيني³⁵.

كما عرفت عين تموشنت، بني صاف، أولاد ميمون، تلمسان، عين طاية، روية، ميلاد نقابات المزارعين، واعتمد في تنظيمهم على تقديم بطاقة سنوية واشتراك سنوي، وأحيانا يتم التخلي عن الاشتراك نظرا لحالات الفقر وتدني المستوى المعيشي وتوجت العملية الدعائية في النهاية بحضور ممثلي الفروع النقابية للمزارعين في المنتدى الوطني بالعاصمة في فيفري 1952³⁶.

ويكفي واقع الحال عن السؤال حول مكانة العمال الزراعيين في السلم الاجتماعي " كيف يمكن لعامل القطاع الزراعي إعالة أسرة من 06 افراد بأجر يومي 250 ف لأيام معدودة في الشهر أن يقتني 01 كلغ من الخبز بسعر 60ف و 01 كلغ من اللحم بسعر يتراوح ما بين 400-500 ف و 01 كلغ من السكر بحوالي 135 ف و 01 لتر من الزيت بـ: 230 ف " ³⁷إنها بحق مأساة إنسانية صنعتها إدارة وإرادة استعمارية استيطانية فرنسية بالجزائر.

وقد مدّت حركة الانتصار للحريات الديمقراطية حركة الإضراب وسط العمال الزراعيين بدعم قوي لمقاومة استفزاز الشرطة والإدارة الفرنسية، وأوعزت إلى العمال الزراعيين بالمطالبة بتعديل مدة العمل في الزراعة وحساب الساعات الإضافية والراحة الاسبوعية وإدانة احتكار الوظيفة العمومية من الأقلية المحتلة وإزالة الفوارق في الأجرة بين الجزائريين والأوروبيين؛ الأمر الذي جعل الكونفدرالية العامة للشغل ترى نفسها أنها مقصودة بالانتقاد؛ حينما ذكرت جريدة "الجزائر الحرة" أن النقابة بدلا من النضال لأجل العمال ومواجهة الباترونا، فإنها تقحم نفسها في مشاكل دولية تخص القوى العظمى واتهامها بالعنصرية بل أن العمال الوطنيين حرصوا على تمرير مطالب سياسية كلما سنحت لهم الفرصة في الدعوة إلى إطلاق سراح السجناء وإدانة التمييز ³⁸ وعبروا عن ذلك خلال في إضراب عمال ميناء عنابة 1953 في رفضهم التوقف عن العمل لشحن البواخر نحو فيتنام وأن المطالب الاجتماعية لا بد أن يعبر عنها ضمن الكفاح الوطني ³⁹ وأن حركة الانتصار، لم تعد تقنعها حركة الإضرابات التي تقودها نقابة الكونفدرالية العامة للشغل (البيت المشترك للشيوعيين

ومنهم الجزائريين مسؤولين أو منخرطين) التي تفتقد إلى الانسجام والموضوعية في معالجة القضايا المطالبة والمصيرية لمنخرطيها، بل تجتهد لأجل قضايا ظرفية لا تتعمق في طرح الحل الدائم لمشكلة عالم الشغل والحرية الإنسانية فعلى سبيل المثال يستفيد العمال الموظفون الأوروبيون في الجزائر من المنح العائلية المرتفعة بغرض تشجيع المواليد لدى الأوربيين و يستثنى من ذلك الجزائريين وتوضيحا لذلك:

- طفل واحد 6500 ف/ شهريا.

- طفلان 14500 ف/ شهريا بمعدل 7250 ف لكل طفل.

- ثلاثة أطفال 24150 ف/ شهريا بمعدل 8050 ف لكل طفل.

ويطبق نظام المنح العائلية على أساس عرقي، إذ يدفع على أساس قيمة الراتب المحصل عليه، في حين يحرم منه الجزائريون، ولم يكن العمال الزراعيون يتمتعون بأي نظام تعويضي قانوني؛ بدعوى حصولهم على امتيازات السكن والخضر مجانا. أما الفرنسيون فيحصلون على تعويضات من الكولون بواسطة صناديق التعاضديات الزراعية⁴⁰.

لقد تحمل العمال الزراعيون والمنجميون صعوبات كبيرة في تنظيم أنفسهم وإعلان الإضراب بحكم تشتتهم على الحقول والمناجم مما صعب عملية التنسيق فيما بينهم لإعلان مطالب مشتركة وتحملوا العقاب والقسوة والغلظة في المعاملة⁴¹ كما مس الاضطهاد ميناء الجزائر وتوقيف عددا من المضربين من بينهم ثلاثة مسؤولين في الكونفدرالية العامة للشغل وعلى رأسهم الأمين العام للنقابة " باش برانجي" وصادرت في 01-12-1947 الجريدة النقابية " العمل Le travail " لإسكات صوت العمال ومنعهم من أخبار النضال النقابي وإطلاق يد صحافة أرباب المؤسسات والحقول لتعتيم الأخبار وتشويهها بل بات أمر الإضراب شبعا مخيفا للسلطات الرسمية ويقلقها مما جعل وزير الداخلية الفرنسي يقدم في 23-10-1948 على إرسال برقيات الى ولاية العمالات الثلاث يطالبهم فيها بنزع اللافتات ومسح الكتابات الحائطية التي تسيء الى الحكومة الفرنسية⁴².

لقد أثبت الأجراء الزراعيون والفلاحون الجزائريون قدرتهم على تخطي حاجز الخوف واللامبالاة في تنظيم حركات احتجاجية، شملت مزارع المستوطنين والمناجم في أغلب جهات البلاد، واستطاعت أن تحقق تضامنا بين القطاعات المهنية التي يشغلها الجزائريون في القطاع الصناعي والخدمات؛ الأمر الذي جعل الوعي النضالي المطلبي يأخذ مجراه في التشكل وسط طبقة ظلّت بعيدة عن حركة التغيير وردود الأفعال، وبقت تحت سطوة الاستغلال لفترة من الزمن ، أسفر وعيها فيما بعد عن هيكلية وتنظيم داخل النقابات الزراعية لتحسين أجور العمال الزراعيين وظروف عملهم ومعيشتهم، ولو بدرجة غير مرضية في مراحلها الأولى، ولكنها كشفت في نفس المنوال عن طريق جديد للنضال المطلبي بالتكتل مع نظيرتها في القطاع الثاني والثالث، وتدفع بالوعي الوطني نحو المطلب السياسي لاحقا .

الهوامش والإحالات

- 1 André Lecourtois, Algérie années 1950, un prêtre témoigne chroniques, LazariLabter, Algérie, 2008, p 169.
- 2عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دراسة سوسيولوجية، ترجمة فيصل عباس، الطبعة الاولى، دار الحداد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان ، 1981، ص 130.
- 3Boualem Bourouiba Les syndicalistes Algériens, leur combat de l'éveil à la libération nationale 1936- 1962, Co-edition Dahleb- ENAG, Alger, 2001, p 183.
- 4عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزء 2، 2008، ص 412 .
- 5محمد فارس، ابحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية، جذورها، تطورها، مراحلها حتى 1962، مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين)، ط1، الجزائر ، 1989، ص 118.
- 6عدة بن داهة، الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1962، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزء 1، 2008، ص 201 .
- 7 عدة بن داهة، مرجع سابق، ج2، ص 204.
- 8 احمد عبيد، على درب نضال العمال الجزائريين لتحقيق الاستقلال النقابي ابان الوجود الاستعماري، مجلة ابحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (دراسات وبحوث وشهادات تاريخية)، طبعة 1، الجزائر 1989، ص 39.
- 9Abderrahim Sekfali , Histoire du mouvement ouvrier en Algérie, grèves et luttes sociales à djidjelli 1936-1939 , El-Almaia , 2010 , p 13.
- 10 محمد فارس، مصدر سابق، ص 118.
- 11 عدة بن داهة، ج2، مرجع سابق، ص 191.
- 12 عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص 132.
- 13 عدة بن داهة، ج1، مرجع سابق، ص 183.
- 14Boualem Bourouiba , op cit, p 138 .
- 15 لم تقتصر تلك الاضرابات على العمال الزراعيين فقط بل امتدت الى عمال القطاع الصناعي والمنجمي وقطاع الخدمات والنقل بالمدن بين 03 الى 17 جويلية 1936 في موجة اضراب غير مسبقة ووضعت السياسات الاقتصادية المتبعة في الجزائر على المحك.
- 16Abderrahim Sekfali, Histoire du mouvement ouvrier en Algérie, grèves et luttes sociales à Djidjelli 1936-1939, El-Almaia, 2010. , p 21.

17Lakhdar kaidi, Une histoire du syndicalisme Algérien, entretiens de Nasser Djabi , édition Chihab , Alger, 2005, p 80 .

18محمد قنانش، النقابيون الجزائريون والمسألة النقابية 1946-1956، قسم التاريخ والآثار، اشراف د/ابراهيم مهديد كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة وهران، 2011-2012، ص 84.

عدة بن داهية، ج1، مرجع سابق، ص 19.183

عبد القادر جغلول، مرجع سابق، ص 157. 20.

21عبد الوهاب شلالي، دور عمال المناجم الجزائرية في ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962 -منطقة الحدود الشرقية نموذجا-دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، 2010-2011، ص 94 .

نفسه ، ص 120. 22.

23حقيقة استقالت الجماهير الجزائر من الساحة السياسية المحلية والدولية ولم تعد ذات معنى لها بعدما خيبت مطالب المؤتمر الاسلامي 1936 من من طرف صديق حليف نكث وعده (الجهة الشعبية) وفتحت عليه باب القمع والتضييق ولم يهتم بما يدور حوله فكيف به ينشغل بما يجري من تحالفات دولية استعدادا للحرب العالمية الثانية وان شغله هو البحث عن وسيلة لسد رمقه.

24مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931-1939، عالم الافكار، الجزائر، 2011، ص 149 .

25محمود آيت مدور، الحركة النقابية المغاربية 1945-1962، الجزائر وتونس نموذجا، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2006-2007، ص 54 .

26Noura Benalleugue Chaouia, Algérie mouvement ouvrier et question nationale 1919-1954, OPU, 2005 , p 360 .

27محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 55 .

28René Gallissot, Algérie colonisée, Algérie algérienne 1870-1962, la république française et les indigènes, édition Barzakh, Alger , 2007 ,p168 .

29Noura Benalleugue Chaouia , op cit , p 351 .

30René Gallissot , op cit , p 168 .

31Lakhdar kaidi , op cit , p 80 .

32محمد فارس، مصدر سابق، ص 123.

33Parti de l'Avant-Garde Socialiste, Révolution socialiste, essai sur l'histoire du mouvement ouvrier algérien 1920-1954, Revue politique, idéologique et culturelle, n 07, Alger, 1972. p 17.

34Lakhdar kaidi , op cit , p 81 .

35Lakhdar kaidi , 1er Mai à Sidi Amrane , Alger Républicain , 1er mai 1991 .

36Lakhdar kaidi , Histoire , op cit , p 85 .

37 محمود آيت مدور، مرجع سابق، ص 64.

38Charles Robert Ageron, Genèse de l'Algérie algérienne, édition Bouchènes , Paris , 2005 , p 495 .

39René Gallissot , Algérie , op cit , p 187 .

40 محمد فارس، مصدر سابق ، ص 125 .

41Noura Benalleugue Chaouia, op cit , p 363 .

42 محمود آيت مدور ، مرجع سابق ، ص 57 .